

التشريع الجنائي الإسلامي ومنهجه في حفظ الحقوق

مدخل تهميدي:

إن الدين الإسلامي دين كامل وشامل لكل أمور الحياة، حيث لم يكتف بتشريع العبادات للناس، بل حكم ونظم كافة شئون الحياة الدنيا أيضاً، فسن للناس قواعد ونظماً يسرون عليها ويهتدون بها، فمن أخذ بما فقد رشد وأنقذ نفسه، ومن مال عنها فإن الإسلام قد قرر له عقوبات رادعة على حسب جنائته، وهذه العقوبات لم تشرع جزافاً، بل إن للعقوبات في الإسلام أهدافاً سامية ومقاصد حميدة يحافظ الإسلام بها على كيان المجتمع من الوقوع في هاوية الرذيلة.

ما مفهوم التشريع الجنائي في الإسلام؟

وما منهجه في صون الحقوق؟

ما هي خلائص حقوق الإنسان في الإسلام وما مقاصدها؟

الذيل الموطر للدرس:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: 179]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْرَعُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ».

[سنن الترمذي]

دراسة الذيل وقرآنها:

I - عرض الذيل وقرآنها:

1 - القاعدة التجويدية (أحكام الميم الساكنة):

الميم الساكنة: عندما يأتي أحد حروف الهجاء غير الباء والميم، حكمها هنا: الإظهار، ويسمى إظهاراً شفوياً، وتكون أشد إظهاراً عند الواو والفاء، والإظهار: وجوب عدم الغن في الميم الساكنة عندما يأتي بعدها أحد حروف الهجاء غير الباء والميم.

II - توثيق الذيل وقرآنها:

1 - التعريف بسورة البقرة:

سورة البقرة: مدنية، عدد آياتها 286 آية، وهي السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف الشريف، وهي أول سورة نزلت بالمدينة المنورة، سميت بهذا الاسم إحياء للمعجزة التي ظهرت في زمن موسى عليه السلام، حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله، فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل، فأوحى الله إليه أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل، وتكون برهاناً على قدرة الله جل وعلا في إحياء الخلق بعد الموت، سورة البقرة من السور المدنية التي تعني بجانب التشريع شأنها كشأن سائر السور المدنية التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم.

2 - التعريف بعائشة رضي الله عنها:

عائشة: هي عائشة بنت أبي بكر اللدقي، إحدى زوجات النبي ﷺ، وإحدى أمهات المؤمنين، ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، تزوجها الرسول ﷺ وهي صغيرة السن، روت كثيرا من الأحاديث وخاصة ما يتعلق بحياة الرسول ﷺ الشخصية، كانت من أفقه الصحابة وأعلمهم بالأحكام، توفيت سنة 58 هجرية ليلة السابع عشر من رمضان.

III - فهم النصوص:

1 - مدلولات الألفاظ والعبارات:

- ادروا: ادفعوا.
- القصاص: أن يقع على الجاني مثل ما جنى.
- الألباب: جمع لبيب، وهو العاقل.
- الحدود: جمع حد، لغة: هو الحاجز بين شيئين، وشرعا: عقوبة مقدرة وجبت حقا لله تعالى.

2 - المضامين الأساسية للنصوص:

- بيان وظيفة التشريع الجنائي الإسلامي المتمثلة في حفظ الضروريات الخمس ومنهجه في ذلك.
- العدل والرحمة من سمات التشريع الجنائي الإسلامي.

تحليل محاور الدرس ومناقشتها:

I - السياق التربوي والحقوقى للتشريع الجنائي في الإسلام:

1 - موقع التشريع الجنائي في منظومة الحقوق في الإسلام:

أ - مفهوم التشريع الجنائي في الإسلام:

التشريع الجنائي في الإسلام: هو مجموع الأحكام الشرعية المحددة للعقوبات المفروضة على من اعتدى على إحدى الضروريات الخمس، أو حق من الحقوق فألحق بها ضررا خفيفا أو شديدا.

ب - مفهوم الجناية في الشريعة الإسلامية:

الجناية في الشريعة الإسلامية: هي كل فعل مضر حرّمته الشريعة من قول أو عمل يحدّثه الإنسان ضد نفسه أو ضد غيره من الناس، سواء تعلق الأمر بالإضرار بالمعتقد أو بالنفس أو بالنسل أو بالعقل، أو بالعرض أو بالمال، وقد رتب الإسلام عقوبات على كل فعل حرمه الشرع، وتنقسم إلى:

✓ حدود: جمع حد وهي عقوبة مقدرة شرعا على ذنب سواء كانت حق للعبد أو لله.

✓ قصاص: عقوبة دينوية شرعها الإسلام لتحقيق المساواة والعدل بين جرائم الاعتداء على الأنفس والأجساد، وبين العقوبة بالمثل.

✓ تعازير: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، وهي عقوبات يقدرها القاضي لجنح تُلحق حد الجناية.

✓ ديّات: وهي اسم للمال الذي يدفع لأهل القتل عوضا عن دم وليهم تطيبيا لخاطرهم من قبل من يجب عليه ذلك.

2 - السياق التربوي للتشريع الجنائي في الإسلام:

ارتبط التشريع الجنائي في الإسلام بغيره من مكونات الدين من عقيدة وعبادات انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

✓ فالعقيدة أساس التشريع الجنائي في الإسلام: فهي تحمي ضمير المجتمع، وتفعل الرقابة الذاتية للأفراد على نوازعهم وسلوكياتهم، فتقي كل واحد منهم بوازع من الدين من التفكير في ارتكاب جرم.

✓ والعبادات دعامة التشريع الجنائي في الإسلام: توقظ الضمير، وتزكي النفوس من نوازع الشر وتبعد بها عن حافة الانحراف ومزالق الجريمة، لهذا ارتبطت العبادة في الإسلام بالتربية الذاتية والتزكية الروحية.

3 - السياق الحقوقى للتشريع الجنائي في الإسلام:

إن أهم ما يتميز به التشريع الجنائي في الإسلام ارتباطه بسياق حقوقي تكفله منظومة من التشريعات الوقائية التي تحقق مقاصدها:

- ✓ فعن طريق العدالة الاجتماعية، حارب الإسلام الفقر وفرض الزكاة، وحرم المفاصد القاذية كالربا والاحتكار والرشوة للحد من ارتكاب جرائم الأموال كالسرقة.

- ✓ وعن طريق التعفف حارب الإسلام المجون للحد من جرمي الزنى والقذف.

- ✓ وعن طريق تكريم العقل وتحريم الخمر حارب الإسلام السكر باعتباره يسبب في نسبة عالية من الجرائم.

فإذا اختلت إحدى شروط السياق الحقوقي للتشريع الإسلامي أوقف ولي الأمر تطبيق الحدود مؤقتاً حتى تتحقق الظروف المواتية، لأن تطبيقها في هذه الحالة يعد إخلالاً بميزان العدالة.

II - وظيفة التشريع الجنائي الإسلامي في حماية الحقوق:

رتب الإسلام عقوبات زجرية على كل اعتداء نتج عنه ضرر بإحدى الضروريات الآتية: الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو النسل أو المال، وهذه التشريعات منهج فعال في صون الحقوق الأساسية للإنسان من كل اعتداء:

- ✓ حماية الأنفس والأمن الاجتماعي: بالنظر إلى نص إطلاق شرع الإسلام القاص جزاء للجاني وفاقاً للجريمة التي ارتكبها في حق النفس، وأول الحقوق في القاص قتل النفس والجروح، ويسبق القاص بعفو صاحب الدم مقابل دية أو تفويض في حالة الجروح.

- ✓ حماية الأعراض والنظام الاجتماعي: لما هيا التشريع الإسلامي مناخ العفة، الأصل في الناس البراءة، فحرم الرجال والنساء، وحرم اتهام أحدهم الآخر بالزنى دون بينة شرعية، وعد هذا الفعل قذفاً يوجب حداً.

- ✓ حماية الأموال وحق التملك: اعتبر السارق معتدياً على مال حله الشرع، وعد عمله اعتداءً على ملكية خاصة في حرز فأوجب حد السرقة.

III - خصائص التشريع الجنائي في الإسلام:

الإسلام يوفر لأفراد المجتمع من الحقوق ما يكفيهم بحيث يباح ارتكاب الجريمة في حد ذاته هو الوحشية، والإسلام يقضي بهذه العقوبات الرادعة في حالة التأكد المطلق الذي يشبهه فيه عن طريق وسائل الإثبات المتفق عليها، (الاعتراف، والشهادة بشروطها، واليمين، والقرائن الملحبة)، وعلى الرغم من أن العقوبات الإسلامية قد تبدو في بعض الحالات عنيفة وقاسية إلا أنها تطبق بتسرع، أو لمجرد الشبهة وإنما هي محكومة بعدد من الإجراءات الدقيقة التي ينبغي توافرها قبل إدانة المجرم، مما يجعل تحقيقها قليلاً إن لم يكن نادراً، ويمكن القول بأنها وضعت للردع والتحذير وتخويف المسلم من أن هناك جرائم يرضى عنها الله تعالى، الذي هو أرحم الراحمين وأعدل العادلين، وقد كان لتحديد هذه العقوبات بهذه الصورة أثر بالغ في تكوين ضمير جماعي لدى المسلمين عبر العصور وفي كل المجتمعات تقريباً، وهذا الضمير جعلهم يمتنعون عن ارتكاب الجرائم من منطلق ديني أكثر من خوفهم من تشريع مدني، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.